بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين

معالم قرآنية في صراعنا مع اليهود

مقدمة

إن القرآن الكريم يقودنا في معركتنا مع أعدائنا ويبين لنا طبيعة المعركة وأساليبها، ويعرفنا على الأعداء، ويرسم ملامحهم فيها، ويبين أسلحتهم في خوضها ويدلنا على أسباب الانتصار عليهم والحصول على العزة والظفر والسعادة.

وبالنسبة لموقفنا من اليهود وتحديد صلتنا بهم، فإن القرآن يبين هذا بتحديد بالغ، وتقرير قاطع أثبت التاريخ صدقه وانطباقه على علاقتهم بنا نحن أبناء الملة الحنيفية السمحة، قال تعالى:﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾(المائدة/82).

لقد حارب اليهود المسلمون حربا عنيفة منذ الأيام الأولى للإسلام واستمرت هذه الحرب طيلة التاريخ الإسلامي وبلغت أعنف مظاهرها وأشد درجاتها في العصر الحديث وحارب اليهود المسلمين على مختلف الجبهات ووجهوا سهامهم لمختلف المظاهر والمجالات، حاربونا على الجبهات السياسية الإقتصادية والثقافية والفكرية والعسكرية والأخلاقية والإجتماعية، حاربونا في نظام الحكم وهو أول ما وجهوا سهامهم إليه كما حاربونا في تصورنا للعقيدة وحاربونا في فهم قرآننا بما دسوه من إسرائيليات وأساطير، وحاربونا في أحاديث نبيينا المعصوم صلى الله عليه وسلم بما وضعوا فيه من منكرات وموضوعات وحاربونا في الفقه والتشريع والأحكام والمال والإقتصاد والإجتماع والعلم والمعرفة ولن يأتي على المسلمين زمان يكسبون فيه ود اليهود وينجحون في إزالة هذه العداوة الشديدة من قلوبهم، بل ستبقى ملازمة لهم تسري في دمائهم حتى تدخل معهم قبورهم، وسبب هذه العداوة الحاقدة هو الحسد. يحسدون المؤمنين على ما أتاهم الله من فضله من خير وإيمان وهدى وسبب آخر لهذه العداوة يقول عنه جل وعلا في

كتابه: ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وإن أكثركم فاسقون ﴾(المائدة /59) .

إن الصلة بيننا وبين اليهود صلة عدائية منذ القديم ولن يرضوا عنا إلا أن نتخلى عن إسلامنا الحنيف قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾(البقرة /120) نأخذ من هذه الآية الكريمة أن كل من رضي عنه اليهود مشكوك في إيمانه، متهم في دينه مطعون في أخلاقه ووطنيته وإخلاصه لأنه لا يمكن أن يرضوا عنه طيب أو صالح. إنهما أمران متوازيان لا يلتقيان ضدان لا يجتمعان: رضى الله ورضى اليهود، فالله لا يرضى إلا عن مؤمن صالح طيب مخلص، وهذه الفضائل التي أهلته للقبول عند الله هي نفسها أسباب السخط والعداء والحرب عند اليهود الملعونين، واليهود الفجرة لا يرضون إلا عن ضال فاسق مجرم خائن لله ولرسوله ولأمته، وكل من فعل ذلك فقد استحق غضب الله وسخطه وعذابه.

يقوم بعض الناس في هذا الزمان الذي اشتد فيه الصراع بين المسلمين واليهود وازداد فيه عنف الهجمة اليهودية ضد المسلمين بالتمويه على المسلمين وخداعهم وتضليلهم فيقدم تفسيرات باطلة خاطئة لحقيقة هذا الصراع، إنه صراع بين رسالتين يبينه القرآن الكريم بكل وضوح في مطلع سورة الإسراء قال تعالى:﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير وءآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا﴾(الإسراء:4/1). إنه صراع بين رسالة الإيمان والعبودية لله التي يحملها– عبده – سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا نوح عليه السلام الذي – كان عبدا شكورا – والمسلمون الذين يعتبرون – عبادا لنا أولي بأس شديد – وبين رسالة الكفر والضلال والإفساد في الأرض والعلو والتكبر فيها والتي يحملها اليهود أبا عن جد والذين خاطبهم الله بقوله ﴿ لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾.

لقد بدأ الصراع بين المسلمين واليهود في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد فتح ملف الصراع منذ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنذ أن ولد المصطفى عليه الصلاة والسلام وعلم اليهود بذلك أبدَو عداءهم له ولدينه ولأتباعه وصاروا يرسمون المكائد والفتن والدسائس ضد هذا الحق وأهله. ونعود إلى كتب السيرة لنستخرج منها شواهد وشهود على هذه الحقيقة. روى الإمام ابن سعد عن سيدتنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بسند حسّنه الإمام الحافظ ابن حجر في فتح الباري أنها قالت: «كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا معشر قريش: هل ولد فيكم الليلة مولودا؟ قالوا: لا نعلم، قال انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة أحمد الآخر بين كتفيه علامة، فانصرفوا فسألوا فقيل لهم: ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فسماه محمدا فالتقوا بعد من يومهم، فأتوا اليهودي في منزله فقالوا: علمنا أنه ولد فينا مولود، قال أبعد خبري أم قبله؟ قالوا بل قبله، قال: فاذهبوا بنا إليه، فخرجوا معه حتى دخلوا على أمه فأخرجته إليهم، فرأى الشامة في ظهره، فغشي على اليهودي ثم أفاق فقالوا: ويلك مالك؟ قال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل، وخرج الكتاب من بين أيديهم، وهذا مكتوب بقتلهم وبنز أحبارهم، فازت العرب بالنبوة». وروى ابن سعد في طبقاته عن بعض الأنصار: «إن يهود بني قريضة كانوا يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم، ويعلمونه الولدان بصفته واسمه وهجرته إليهم، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدوا وبغوا وقالوا: ليس إلينا وصدق الله القائل: ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾(البقرة/89) .

وقال أيضا جل وعلا:"ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق" (البقرة/109). وذكر كذلك الإمام ابن سعد في طبقاته: «إن جماعة من اليهود مروا على ظئره يعني مرضعته حليمة رضوان الله عليها، فقالت لهم: ألا تحدثوني عن ابني هذا فإني حملته كذا ووضعت كذا ورأيت كذا كما وصفت أمه فقال بعضهم لبعض: اقتلوه، فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت حليمة لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا لو كان يتيما لقتلناه، فذهبت به حليمة وقالت: كدت أخرب أمانتي». ولما كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ست سنوات أخذته أمه آمنه إلى المدينة المنورة لزيارة أخوال أبيه عبد الله وكانت معهما حاضنته أم أيمن رضي الله عنها وهناك رآه يهود يثرب فتحدثوا عنه وسمعتهم حاضنته فتوجست عليهم منهم وأبلغت سيدتها فرحلوا عائدين إلى مكة.

ويضاف إلى هذا الكيد اليهودي للرسول صلى الله عليه وسلم العداء الشديد الذي تلقاه من اليهود بعد النبوة المباركة في مكة المكرمة والمدينة المنورة بعد الهجرة على السواء، لقد روت كتب السيرة النبوية والتاريخ عن سيدتنا صفية بنت حيي بن أخطب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنها أنها قالت: «لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني، لم ألقهما في ولد لهما قط أهش إليهما إلا أخذاني دونه» فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين (عند الفجر) فوا الله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس. فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوا الله ما نظر إلي واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال نعم والله. قال تعرفه بنعته وصفته؟ قال نعم والله: قال فماذا في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت».

ولقد تمثلت هذه العداوة اليهودية الحاقدة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة حوادث حاولوا فيها اغتياله: إما بإلقاء حجر عليه كما فعل يهود بني النضير أو بتأليب الأحزاب العربية المشركة لمهاجمته في المدينة كما فعل حيي بن أخطب وإما بوضع السم له في الشاة المشوية كما فعلت تلك المرأة اليهودية يوم خيبر، ولولا عصمة الباري سبحانه وتعالى لهلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهلك الإسلام بالكلية.

ثم برزت هذه العداوة الشديدة في مظاهر عديدة تجلى فيها الحقد اليهودي ضد الإسلام وأهله منذ العصور الذهبية، عصور الخلافة الرشيدة إلى يومنا هذا ولا تزال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وأصبح قول حيي بن أخطب "عداوته ما حييت" شعارا يرفعه كل يهودي على اختلاف الزمان والمكان، واليهود كلهم يجتمعون على حرب الإسلام والمسلمين ومعاداتهم حتى الموت ومع ذلك نتحبب إليهم ونقضي بحكمهم ونريد مسالمتهم شأن الذي اختار عيش الذلة على العزة والشهادة. فاشتد هذا الصراع في العصر الحديث حيث زاد حدّة وعنفا وقسوة ونجح اليهود في هزيمة المسلمين المعاصرين وإقامة كيان لهم في فلسطين المباركة.

ولقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صراعنا مع اليهود دائم مستمر لا ينتهي إلا قرب يوم الساعة، وأننا سوف ننتصر عليهم بإذن الله ولكن إذا رجعنا إلى الله عقيدة وسلوكا وكنا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي، تعالى فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» هؤلاء اليهود الذين قال عنهم أحد علماء الغرب "توسنيل" في كتابه " اليهود ملوك الزمن" " زعموا أن المصادر التاريخية تزخر بمعجزات أسلاف اليهود فبحثت عنها في بطون المصادر والكتب فلم أعثر فيها على أثر لتلك المعجزات المزعومة حتى إن كتاب التوراة الذي يعتبر مرجعا لكل ما يتعلق بالشعب اليهودي لا يروي هو الآخر عنهم إلا كل ما يخزي ويعيب... بدليل أنه يذكر أن "يهوذى" (إلههم) كان يحرض أتباعه على اغتراف مبادل الحياة، وإشباع الغرائز الحيوانية واحتقار القيم والمثل الأخلاقية، ويحضهم على تطبيق شريعة القتل العام عند المقدرة، وينسب لمشاهير أسلافهم اعتماد الخداع وبذل الأعراض في سبيل الكسب الحرام، ويتهم ملوكهم بالاعتداء على أموال أتباعهم واستباحة أعراضهم ويصم نساءهم اللواتي لقبن بالقديسات بتعاطي الفسق والفجور مع أعداء قومهن، فأين هي إذن المعجزات التي يبحث عنها الناس؟ أتراهم يعتبرون هذه الآثام مع كل ما فيها مما يندى له الجبين من المناقب والمعجزات؟"

الشيخ الطاهر بدوي